إشكالية مفهوم أخلاق بين فلسفة أخلاق وعلم أخلاق

د. بلحنافي جوهر
جامعة معسكر

الملخص:

تختلف الآراء حول تحديد معنى محدد للأخلاق تبعا للاختلاف وجهات نظرا الفلاسفة ، ومع هذا فمن الممكن وضع تعريف يصور الإطار العام للأخلاق ويحدد بقدر مشترك بين مختلف التعريفات ،ومتفق عليه عند الفلاسفة والباحثين على أن الأخلاق هي علم بالفضائل وكيفية اقتنائها ليتحلى بها الإنسان والعلم بالرذائل وكيفية توقيعها ليتخلى عنها ، وهي الإلمام بقواعد السلوك الإنساني وبالمقياس الذي تقاس به أعمال الإنسان الإرادية فيحكم عليها بأنها خير أو شر مع تحديد الجزاء لكل منهما و الغاية التي تتوخاها الأخلاق من كل ذلك هي حقيق السعادة النفسية والطمأنينة القلبية للإنسان وتهيئه لحياة الآمنة والعيشة الراضية له في حياته الآجلة والعاجلة .

الكلمات المفتاحية: خلق .علم الأخلاق .فلسفة أخلاق.السعادة.خير .شر

Astract :

Opinions differ on defining a specific meaning of morality depending on the difference of views given by philosophers. However, it is possible to develop a definition that depicts the general framework of morality and defines the common denominator between the various definitions. It is agreed upon by philosophers and scholars that morality is a science of virtues and how to acquire them to be human and knowledge of vices and how to sign them To abandon them, namely knowledge of the rules of human behavior and the measure measured by the work of human voluntary judged by the good or evil with the determination of the penalty for each of them and the purpose of ethics of all this is the truth of psychological happiness and tranquility Endodontic of man and the creation of safe and dignified living life satisfied him in his life futures and urgent.

Keywords: ethics Creating. Evil .good. happiness morality. virtues

مقدمة

اللغة كلمة الأخلاق هي جمع لخلق، وجاءت بمعنى التقدير و الحكمة في القرآن الكريم حيث يخاطب القرآن الكريم الرسول صلى الله عليه وسلم في سورة القلم "وانك لعلى خلق عظيم "الآية 4. والخلق في حقيقته حالة باطنية أو أنه أمر داخلي تشتمل عليه النفس ، وصفة تقوم بها فتطبعها بطابع معين يميل إلى فعل الخير وإما إلى فعل الشر عليها وهذه الحالة الباطنية (الخلق) تختلف تماما عن أفعال الإنسان الظاهرة والتي يطلق عليها علماء الأخلاق اسم (السلوك) وهي لا تسمى سلوكا إلا إذا كانت صادرة عن إرادة أما إذا صدرت عن المرء من غير إرادة لها أو تفكر فيها فأنها حينئذ لا تسمى سلوكا و إنما تصرفا تدفع إليه الغرائز التي يشترك فيها الإنسان والحيوان على السواء ، ومن ثم كان السلوك هو الأعمال الإنسان الإرادية المتجهة نحو غاية معينة مقصودة.

يحدد العلماء والفلاسفة دراسة الأخلاق من جانبين :نظري وعملي.الأول يضع المبادئ والنظريات التي يستند إليها السلوك الإنساني والثاني يبحث في التطبيقات العملية لهذا السلوك داخل كيان عيني محدد.من

هنا كانت قيم الأخلاق النظرية عامة، بينما قيم الأخلاق العملية خاصة جزئية. وبالتالي يميز بين علم الأخلاق وفلسفة الأخلاق .فالإشكالية التي تطرح نفسها كيف يمكن ضبط مفهوم الأخلاق بين هذين éthique et morale

مفهوم الأخلاق

لا يمكن ضبط مفهوم أخلاق إلا من خلال معناه اللغوي و الاصطلاحي كلمة الأخلاق من حيث اللغة جمع هي خلق و لهذا جاءت كلمة الخلق في أساس البلاغة بمعنى التقدير و استعملت في القرآن مجازا بمعنى الإيجاد بتقدير و الحكمة[1]. فالقرآن يخاطب الرسول صلى الله عليه وسلم ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ "سورة القلم الآية رقم4 "

و يحكي القرآن قصة النبي هود مع قومه الذين رفضوا دعوته فكان مما واجهوه به قولهم ﴿ إِنْ هَٰذَا إِلاَّ خُلُقُ ٱلأَوَّلِينَ ﴾ سورة الشعراء الآية 137 فالكلمة إذا أصيلة في اللغة العربية و احتفظت بمعناها الأصلي إلى اليوم.[2]

فكلمةً الأخلاق في اللغة العربية جمع خلق و تعني العادة و في ذلك يقول ابن منظور في "لسان العرب اشتقاق خليق و ما أخلقه من الخلاقة و هو التمرين من ذلك تقول للذي ألف شيئا صار له ذلك خلقا أي مرنا عليه ومن ذلك الخلق الحسن[3].

،فالخلق: "السجية يقال خالص المؤمن وخالق الفاجر . وفي الحديث ليس شيء في الميزان أثقل من حسن الخلق الخلق بضم اللاّم و سكونها و هو الدين و الطبع و السجية و حقيقته أنه بصورة الإنسان الباطنة و هي نفسه و أوصافها و معانيها المختصة بها بمنزلة الخلق لصورته الظاهرة وأصافها و معانيها و لهما أوصاف حسنة و قبيحة و الثواب أو العقاب يتعلقان بأوصاف الصورة الباطنة[4].

يميز التهاوني صاحب كشاف "اصطلاحات الفنون" بين المعنى اللغوي و المعنى الاصطلاحي لكلمة خلق فيقول" الخلق بضمتين و سكون الثاني أيضا في اللغة : العادة والطبيعة و الدين و المروءة و الجمع الأخلاق في عرف العلماء ملكة تصدر بها النفس الأفعال بسهولة من غير تقدم فكر و روية و تكلف ، فغير الراسخ من صفات النفس كغضب الحالم ، لا يكون خلقا و كذا الراسخ الذي يكون مبدأ الأفعال النفسية بعسر و تأمل كالبخيل إذا حاول الكرم و الكريم ، إذا قصد بإعطائه الشهرة و كذا ما تكون قدرته إلى الفعل و الترك على السواء[5] .

. وهذا نفسه ما قرره الجرجاني في تعريفاته حيث يقول "الخلق عبارة عن هيئة للنفس راسخة ، تصدر عنها الأفعال بسهولة و يسير من غير حاجة إلى فكر و روية ، فإذا كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة عقلا و شرعا بسهولة سميت الهيئة خلقا حسنا ، وان كان الصادر منها الأفعال القبيحة سميت الهيئة التي هي المصدر خلقا سيئاً" ويضيف و" إنما قلنا أنه هيئة راسخة لأن من يصدر عنه بذل المال على النذور بحالة عارضة لا يقال : "خلقه السخاء ما لم يثبت ذلك في نفسه و كذلك من تكلف السكوت عند الغضب يجهد أو روية لا يقال خلقه الحلم ، وليس الخلق عبارة عن الفعل ، فرب شخص خلقه السخاء و لا يبذل إما لفقد المال أو لمانع و إما يكون خلقه البخل وهو يبذل لباعث أو رياء [6]، فكرتان

يتحدد بهما معنى الخلق و جمعه أخلاق الأولى الرسوخ بمعنى الثبات و الدوام و الثانية التلقائية هيئة راسخة من غير تكلف أي بمعنى السلوك .

ومعنى ذلك أن الخلق في حقيقته وذاته حالة باطنية أو أنه أمر داخلي ، تشتمل عليه النفس ، و صفة تقوم بها فتطبعها بطابع معين ، يميل إلى فعل الخير و إما إلى فعل الشر وهده الحالة الباطنية (الخلق) تختلف تماما عن أفعال الإنسان الظاهرة و التي يطلق عليها علماء الأخلاق اسم (السلوك) وهي لا تسمى سلوكا إلا إذا كانت صادرة عن إرادة .أما إذا صدرت عن المرء من غير إرادة لها أو تفكر فيها، فإنها حينئذ لا تسمى سلوكا، و إنما تسمى تصرفا تدفع إليه الغرائز التي يشترك فيها الإنسان و الحيوان على السواء ومن ثم كان السلوك هو أعمال الإنسان الإرادية المتجهة نحو غاية معينة مقصودة.[7]

وهكذا تختلف الآراء حول تحديد معنى محدد للأخلاق تبعا للاختلاف وجهات نظر الفلاسفة ، ومع هدا فمن الممكن وضع تعريف يصور الإطار العام للأخلاق و يحدد القدر المشترك بين مختلف التعريفات. و المتفق عليه عند الفلاسفة و الباحثين في مختلف الأزمان وهو أن الأخلاق هي العلم بالفضائل و كيفية اقتنائها ليتحلى بها الإنسان، والعلم بالرذائل وكيفية توقيعها ليتخلى عنها و الإلمام بقواعد السلوك الإنساني وبالمقياس الذي تقاس به أعمال الإنسان الإرادية ، فيحكم عليها بأنها خير أو شر مع تحديد الجزاء لكل منهما ، والغاية التي تتوخاها الأخلاق من كل دلك هي تحقيق السعادة النفسية والطمأنينة القلبية للإنسان وتهيئه الحياة الآمنة و العيشة الراضية له في حياته الآجلة و العاجلة.

أما موضوعها :" فهو أعمال الإنسان الإرادية الصادرة عن تفكير وروية" وفائدتها:" هي تقويم الأفعال و الأعمال التي يأتيها الناس تقويما سليما وتوضيح أن الإنسان المثالي هو المتحلي دائما بالفضائل ، وأنه بفضلها يحيا حياة صالحة قويمة وسعيدة.[8]

يجب ألا نخلط بين الأخلاق وبين ما أسماء العرب " الأدب" فالأدب أقل عمقا من الأخلاق وأكثر شمولا منه. فكلمة أدب كما يذكر الجابري في كتابه العقل الأخلاقي العربي لا تدل من قريب أو بعيد على سجية أو عادة أو غريزة بل تقال على ما يكون موضوع تعليم أو تدريب أو معاناة أو نتيجة له و هذه الكلمة من فعل أدب و مؤدب و تأديب والمؤدب في العصر الأموي كلن معناه المعلم.

أما لفظ أخلاق فهو لا يدل على ما يتعلم ويعلم و على ما يرجع إلى الفطرة أو العادة أو الاكتساب بتقوية خلق ما كامن أو ضعيف أو إضعاف خلق مسيطر.

و لقد وردت كلمة أدب في التصور الصوفي كالقول (أدب فلان سلوك صوفي) و يرى الجابري أن هذه الكلمة أقرب في مضمونها منه إلى الأخلاق ذلك أن السلوك قوامه الترويض فهو من جنس التعليم و ليس من جنس العادة و الخلق. و كذلك الشأن بالنسبة للموروث العربي حيث يتحدد المعنى في "أدب اللسان" و ما يأتي كثمرة له، و كله تعلم و تدريب... إلخ. و الشيء نفسه يصدق على الموروث الإسلامي حين يتعلق الأمر بالآداب الشرعية فهي قائمة هي الأخرى على الإرادة و التعليم و التعلم.[9]

وعليه لقد وردت لهذا العلم عدة تعريفات أخرى منها " علم الخير والشر" منها " علم الواجبات" إلا أن هذه التعريف وغيرها لا يوفيان إلا جانب النظري لهذا العلم لأن تحصيل قواعده لا يجعل الإنسان

بالضرورة ذا أخلاق حسنة لأن التخلق يلبس الفعل بالأخلاق الفاضلة بمعنى أن معرفة القواعد يكون لهـا تأثير في السلوك وإلا بقيت مجـرد دراسة نظـرية[10].

1- التميز بين علم الأخلاق و فلسفة الأخلاق ETHIQUE ET MORALE

فما يمكن استخلاصه من هذه الدراسة لمفهوم الأخلاق يمكن أن نسجل أن كلمة أخلاق قد تستعمل للدلالـة على صفة أو صفات في الشخص محمودة أو مذمومة و لكنها لا تستعمل للدلالة علـى مجمـوع قواعـد السلوك الذي يتمظهر في تلك الصفات القواعد التي تكون موضوع تدريب و تعليم بإضافة كلمة تفيد ذلك (كعلم الأخلاق ، فن الأخلاق صناعة الأخلاق) .

وهذا ما نقصد به بالإيتيقا التي استوحيت من الموروث اليوناني فعلم الأخلاق الذي اختص بـه المـوروث اليوناني هو ترجمة لكلمة Ethic اليونانية و قد ترجمت إلى اللاتينيةMoral فهناك من الباحثين من وحد بين كلمة Moralis وكلمة Ethics ولكن أرى أن هناك حدودا دقيقة و فروقا جوهرية بين الاصطلاحين تظهر بوضوح حينما نحدد الاتجاهات الرئيسية في دراستنا للأخلاق على النحو التالي.[11]

1.1- فلسفة الأخلاق Morale

أخلاقي أوmorale من كلمة اللاتينية moralis،mœurs،Mores جمع Mos ابتكرها شيشرون من خـلال ترجمته للكلمة اليونانيةta Ethica بمعنى كل ما يتعلق أما بالآداب ، أما بالقواعد السلوكية المسلم بهـا فـي عصر في مجتمع معين تكون واقعة اجتماعية سوية بالنسبة إلى نمط اجتماعي معين . عندما تشاهد فـي متوسط المجتمعات من هذا الصنف .[12]

ويعرفه لالاند بقوله علم الأخلاقmorale أخلاقيات: "مجموعة القواعد السلوكية المقبولة في عصر أو مـن قبل جماعة بشرية أخلاقية صارمة، أخلاقية ذميمة أخلاقية متراخية، لكل شعب أخلاقياتـه .التـي تحـدد بالشروط و الظروف التي يعيش فيها وتاليا ما يمكن أن تنسخ عنها أخلاقية أخرى مهما بلغ ارتفاعها مـن دون تفكيكها.[13] :

وعليه La Morale تظهر أولا كمجموعة قواعد التي يجب على الإنسان أن يتبعها في حياتـه و خاصـة الحياة الاجتماعية.[14]

2.1- علـم الأخلاقEthique

أما كلمة Ethique هو مبحث من مباحث الفلسفة التي تدرس الغايات التطبيقية للإنسان أو شروط الخاصة (الشخصية)أو الاجتماعية العامة للحياة السعيدة ففي الفلسفة اليونانية والهلنستية الاتيقا Ethique جـزء من الفلسفة إلى جانب الطبيعة Physis التي تناول دراسة الطبيعة ، فالاتيقا Ethique تهتم بسلوكات الحيـاة الإنسانية التي تتجه إلى البحث عن الخير.[15]

فالاتيقا هي علم الأخلاق أو الحكمة العملية" Ethics باليونانية Ethica منEthos وهو علم فلسفي يـدرس الأخلاق.[16]

وقد أدخل مصطلح الاتيقا أرسطو الذي كان أول من الذي وضع أهمية هذا العلم كالعادات حيث كان هدفه من خلال كتابه علم الأخلاق إلى نيقوماخوس وهو بناء علم جديد في مضمونه وأهدافه يتضمن البحث عن

حياة الإنسان في خيره وكماله وسعادته، انه العلم الذي يعطي نظرة متكاملة عن الكون ، والأكثر جودة في ميدان السلوك البشرى إنه العلم الذي ينظم وينسق مختلف أجزاء البناء الاجتماعي و السياسي ،فالاهتمام بهذا العلم البحث فيه هو الحصول على الوسائل و الظروف التي تجعلنا فضلاء من بين الأفعال المطابقة للفضيلة أيهما يلد لنا الفضيلة ويرضينا أكثر بالاعتراف جميع الناس تعاطي الحكمة و العلم اللذان تجلبهما الفلسفة[17] هذا العلم الذي يرمي من ورائه إلى البحث المنهجي المنظم في الصفات في الخصال التي تمثل هيئة للنفس).

أما الإقرار الفرق بين المفهومين لا يسند إلى المشكلة اللفظية بل إلى سياق إشكالية دون غيرها إلى السياق النظري محض.

لقد ترجم العرب Ethos بلفظة أخلاق وأرسطو أشار من قبل. الى الفرق بين الاتيقا و الأخلاق حيث قال " فأما الفضيلة الايتقية فهي ربيبة العادات الحسنة"[18] فنجم عن ذلك انه بتحويل طفيف للفظة Ethos تخرج لفظة الفضائل الأخلاقية و المقصود بها العادات الأخلاقية أو Morale في حين تدل الفضائل العقلية على مصطلح الايتيقا Ethique.

لكن في الوقت الحاضر بفضل علم الأخلاق تعيين المظاهر جماعة أو مجتمع ما وصلتها المادية بالقيم خاصة إذ كان الأمر يتطلب مجال عمل جد خاص إذ ا تعلق الأمر بحادثة المشكلات التي يطردها علم الأخلاق[19].الذي تفرضه ذاتية الإكراه سواء بالدين أو بالدولة، فالعرب بهذا المعنى لم يترجموا سوى جزء من مفهوم الاتيقا الارسطى تلقوا لفظ (الأخلاق جمع خلق) ، وفي هذا الصدد يقيم بول ريكور تفرقة معينة بين المصطلحين الأخلاق و الاتيقا "Ethique Morale" من خلال العودة إلى اتيمولوجيا الكلمتين على أن الأولى لاتينية الأصل ، أما الثانية فإغريقية وبشكل أو بأخر فان كل واحدة منها ميدان مشترك هو العادات و السلوكات، لكن هناك العلاقة إجماع حول وجود المصطلحين و يقترح أن نأخذ مصطلح الأخلاق على أنه المنطلق الثابت و المرجعي و يكتسب وظيفة مزدوجة الأولى بصفته المنظم من جهة المعايير ما هو مسموح أو محضور و الثانية من جهة الإحساس بالوجوب و الجبرية كدليل على الذاتية فالعلاقة و انطلاقا من هذا فان مصطلح الإتيقا ما يسمى مجموع القواعد أو الضوابط أي الإتيقا القديمة أما الشرط الثاني فيخص شيئا ما مثل قبول، أو قابلية هذه الضوابط و القواعد ويقصد هذا الإتيقا الحديثة.

جاكلين روس ومفهوم أخلاق بين أخلاق النظرية وأخلاق العملية ، أما جاكلين روس فترى :" أن كلمة La Ete باللغة الإغريقية تعني (العادات الأخلاقية) أما Mors (باللغة اللاتينية. تعني الأعراف) وهما تتجليان في الواقع بدلالات بقرب بعضها من بعض غاية القرب. فإذا كانت كلمةEthique الأخلاق النظرية إغريقية الأصل و كانت كلمة Morale الأخلاق لاتينية فإنهما كلتيهما تجليان على مضامين متقاربة على فكرة العادات الأخلاقية الأعراف، وسبل العمل التي يحددها الاستعمال وعلى الرغم من ذلك فالقرابة التي يبرزها أمامنا التحليل الاشتقاقي فثمة مجال لتميز الأخلاق.[20] النظرية عن الأخلاق تبدو الثانية في الناحية النظرية و هي تود أن تتجه اتجاها أكبر شطر التفكير في أسس الأخلاق النظرية تجهد لتفكيك قواعد السلوك التي تشكل الأخلاق و أحكام الخير و الشر التي تتجمع وسط الأخلاق.

الأخلاق النظرية هي جملة قواعد خـــاصة بثقافة بل " ما وراء الأخلاق " أي مذهبا يقع خلف الأخلاق ، نظريـــة معقلنة عن الخير و الشر، عن القيم والأحكام الأخلاقية. أن الأخلاق النظرية تفكك بوجه الإجمال قواعد الســلوك و هي تحلل البنى وتفرق أواصرها سعيا وراء الهبوط إلى أسس الإلزام الخفية و على خلاف الأخلاق تريد الأخـــلاق النظرية أن تكون هـــدامة و بناءة ناطقة " بالمبادئ أو بأسس القصوى، وهي تتميز عن الأخلاق من حيـــث بعـــدها المتسم بأنه نظري على نحو اكبر.[21] والواقع أن كله الأخلاق إن كانت تدل على وثبة مبدعة فإنها تتجمد في أوامر تتساءل الأخلاق النظرية يصددها وترتاب و يحتمل أن تقف على منأى منها.[22]

خاتمة

فالأخلاق هي علم قواعد السلوك، و من ثم كان قيام هذا العلم يتساءل حول تشكيل قواعد الســلوك و كـــان تقســيم البعض للأخلاق إلى نظرية و عملية، فالأولى علم معياري و الثانية هي تطبيقاته التي تســمى آداب الســلوك و تتفرع الأولى إلى مذاهب و نظريات منها الوضعي، الروحي، التطوري، و اللاهوتي، و الرواقي، و الأبيقوري، و المادي و المثالي . غير أنها جميعا تلتقي في نتائجها العملية أي في الآداب السلوكية تنتهي إليهـــا بيـــد أن كـــل النظريات الأخلاقية مهما تنوعت و اختلفت فإنها تستمد صدقها من التجربة الوجدانية و التجربة الفرديـــة الناتجـــة عن التجربة الجماعية.

المراجع

[1]- فايزة أنور شكري، القيم الأخلاقية بين الفلسفة والعلم، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2005 ، ص81.

[2]- الجابري محمد عابد، العقل الأخلاقي العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2001، ص 32

[33]- يحيى الهويدي، حسن حنفي، محمد مهران ، عزمي طه تطور الفكر الفلسفي ، دار قباء للطباعة والنشر ، القاهرة، 1998 ص 135

[4]- ابن منظور ، لسان العرب ، دار بيروت للطباعة و النشر ، بيروت (دط) ، 1968 م ج 10 ص 86.

[555]- الخطابي محمد العربي، موسوعة التراث الفكري العربي الإسلامي،دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط1 ، 1989 ج 1 ، ص 310.

[6]- الجرجاني، علي بن محمد الشريف، تعريفات ، مكتبة لبنان، بيروت ، د ط ، 1975 ص 106.

[7]- محمد بيصار ، المختصر في العقيدة والأخلاق، مكتبة الأنجلو ، القأهرة ط 1 ، 1971 ، ص 106 -107

[8]- محمد بيصار، العقيدة والأخلاق وأثرهما في حياة الفرد والمجتمع، مكتبة أنجلو المصرية القاهرة ، ط 2 ، 1976 ، ص 198

[9]- الجابري محمد عابد. العقل الأخلاقي العربي. مركز العربي مركز الدراسات. الوحدة العربية.بيروت. ط1 ،2001، ص53

[10]- فايزة أنور شكري، نفس المرجع السابق ،ص86

[11]- فايزة أنور شكري، نفس المرجع السابق، ص 88.

[12]- Encyclopedia unversialis 15 puf 1994. - P 743

[13]- - لالاند الموسوعة الفلسفية ،ترجمة خليل أحمد خليل ، منشورات عويدات، باريس ، م ج ، 1996 ، ص 370.

[14] -Encyclopedia unversialis . 15 puf 1994. - P 743

[15] - grand dictionnaire philosophie vuef 2003 p 387.

[16]- الجابري ، محمد عابد ، العقل الأخلاقي العربي، مركز الدراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ط1 ، 2001 ص 41.

[17]- كون ايغور ــ معجم الاخلاق ترجمة توفيق السلوم ــ دار التقدم ــ موسكو (د ط) 1984 ص54

[18] - ARISTOTE ETHIQUE de necomaque . tran. j. volqun. garnier flomarion. PARIS (se)1965 P 45.

[19] - ARMOND COLIN DICTIONNAIRE DE LA PHILOSOPHIE . 2002 P 36.

[20]- جاكلين روس ــ الفكر الاخلاقي المعاصر ترجمة عادل العو عويدات للنشر و الطباعة بيروت لبنان ط 1 2005 ص10.

[21]- جاكلين روس، نفس المرجع السابق، ص 11.

[22]- جاكلين روس، نفس المرجع السابق، ص 12.